لسانيات النّص بين التأسيس الغربي والتلقّي العربي.

Linguistics of the text between the Western establishment and the Arab receiving

***سبيع نورة**

مخبر الخطاب التواصلي الجزائري الحديث

جامعة بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، (الجزائر)، aroneibes@gmail.com

أ/د.مصطفاوي جلال

جامعة بلحاج بوشعيب، عين تموشنت، (الجزائر)، zourba1976@live.fr

تاريخ الاستلام: 2021/07/05 تاريخ القبول: 2021/09/20 تاريخ النشر: 2021/12/30

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضّوء على لسانيات النّص من منظارين غربي وعربي، مع التركيز على هذه الأخيرة بغية الخروج بتصور عام وشامل حول طبيعة التلقّي العربي للسانيات النّص.

إنّ أهم نتيجة يخلص إليها هذا البحث هي وجود أزمة تلوح في أفق الدرس اللساني النّصي العربي؛ بفعل معيقات عديدة تحول دون قيام النظرية والتأسيس لها في ثقافتنا العربية. وهذه المعيقات منها ما يتعلق بطبيعة العلم نفسه، ومنها ما يتعلق بطبيعة الجو الثقافي العام السائد في فكرنا اللساني العربي.

كلمات مفتاحية: لسانيات النّص؛ لسانيات الجملة؛ إشكالات، تلقّي؛ ثقافة عربية.

Abstract:

Our research paper seeks to shed light on the linguistics of the text from both Western and Arabic perspectives, with a focus on the latter; In order to arrive at a general and comprehensive conception of the nature of Arabic reception of the linguistics of the text.

The most important result of this research is the existence of a crisis looming on the horizon of the Arabic textual linguistic lesson; Due to many obstacles that prevent the establishment of a theory of textual linguistics and its foundation in our Arab culture. These obstacles include what is related to the nature of science itself, and also what is related to the nature of the general cultural environment prevalent in our Arabic linguistic thinking.

Keywords: text linguistics; sentence linguistics; problems; receiving; Arabic culture.

***المؤلف المرسل**: سبيع نورة، **الإيميل**: aroneibes@gmail.com

1. مقدمة:

حصل الاتّصال الفعلي في حقل لسانيات النّص بين الثقافتين الغربية والعربية منذ ما يربو عن الثلاثة عقود، وهي مدّة غير قصيرة، ومنطقيا كافية للقول بأن ثمّة نظرية لسانية نصية عربية تخضع لشروط النّظرية اللّسانية العالمية، لها شخصيتها وحدودها المعرفية ومنطلقاتها الفكريّة وأسسها النّظرية وتصوراتها المنهجية؛ ولكن هل حدث حقيقة هذا في الواقع؟ هل جاء حصاد الثّلاثين غنيا كما ونوعا بما فيه الكفاية إلى الحد الذي يمكن معه القول بكثير من الاطمئنان بأن ثمة نظرية لسانية نصية عربية خالصة؟ أم أن هذا المنجز – اللساني النّصي العربي– هو مجرد ركام معرفي لا يسمن ولا يغني من جوع؟ كيف تم سفر هذه النظرية من النسق اللساني الغربي إلى نظيره العربي؟ هل كان انتقالا سلسا وسليما يخضع لشروط انتقال النظرية العلمي؟ أم أنه انتقال عشوائي أدى إلى اضطراب في طبيعة التلقّي العربي لهذا العلم؟

هذه الأسئلة وأخرى سنجيب عنها في متن هذه الورقة البحثية بهدف الخروج بتصور عام حول طبيعة تلقّي لسانيات النّص في ثقافتنا العربية المعاصرة، مع رصد مظاهر الاختلال والإشكالات التي يضطلع بها هذا التلقّي في الدرس العربي، مما استدعى أن يكون منهج البحث وصفيا تحليليا، فبعد جمع المعطيات كما هي عليه في الواقع، نقوم بتحليلها وتفكيكها ومن ثمة تصنيفها للخروج بنتائج واقتراح حلول وتوصيات.

2. عناوين ظهور لسانيات النّص في ثقافة الغرب:

يختلف الباحثون حول تحديد التاريخ الفعلي لنشأة لسانيات النّص **(Text linguistics)** في الغرب، وإن كاد يجمع أغلبهم على أن **زليغ هاريس** (**Z.S.Harris**) هو من أوقد الشرارة الأولى التي كانت وراء توهّج لسانيات النّص وبروزها في ساحة البحث اللساني العالمي، من خلال مقاله ذي العنوان: "تحليل الخطاب" (**Discourse analysis**) الصادر سنة (1952م). فكانت هذه "أولى المحاولات الصريحة التي تكلمت عن وحدة أكبر من الجملة وسماها دون تمييز تارة النّص (**Texte**) وتارة الخطاب (**Discours**) وتارة القول المتتابع (**énoncé suivi**)"[1]. ومعلوم أن هذه المصطلحات الثلاثة – النّص والخطاب والقول المتتابع – ليست مترادفة بشكل أو بآخر، وإنما ثمة فروق قائمة فيما بينها، وإن كانت تتقاطع في كثير من المفاهيم وتتداخل. وقد لقيت هذه المصطلحات بعد هاريس عناية كبيرة من قبل اللسانيين وشكلت مادة خصبة للبحث وثرية، لا سيما ما تعلق بالنّص والخطاب، ولهذا يعزوا بعض المشتغلين في الميدان نشأة لسانيات النّص إلى غير هاريس.

يذكر **مصطفى غلفان**، أن المنهجية التي قدمها هاريس في تحليله للخطاب لم تخرج عن أساسيات اللسانيات البنيوية التي سادت في أمريكا بين الأربعينيات والخمسينيات من القرن الماضي.كما أن الخطاب عنده مفهوم عادي ولا يعدو أن يكون أكثر من ملفوظ طويل أو متتابع؛ أي كل تعبير يتجاوز حدود الجملة، وينطلق من مقاربته للخطاب من مشكلين أساسين هما: أولا محاولة تطبيق آليات تحليل اللسانيات الوصفية على وحدات لغوية أوسع من الجملة وثانيا الكشف عن مظاهر العلاقة بين الثقافة واللسان[2]. وبما أن هذه الأخيرة تعد خارج حدود الدرس اللساني، فقد اعتنى هاريس أكثر بدراسة الوحدات اللغوية الأكبر من الجملة التي تدخل في صلب البحث اللساني.

والحديث عن نشأة لسانيات النّص لا يسعنا معه تجاوز العمل الهام الذي تقدم به كل من **هالداي (Halliday) ورقية حسن**، في مؤلفهما "التماسك في الانجليزية" **(Cohesion in English)** الذي صدر عام (1976م). ثم تتابعت وتوالت بعد ذلك الدراسات التي تبحث في النّص وتشعبت اتجاهاتها بتعدد الباحثين، من أمثال فان دايك **(Van Dijk)** في مؤلفه "جوانب من علم النّص" (**Some aspects of text grammar**) الصادر سنة (1972م) ومؤلفه الثاني بعنوان "النّص والسياق" (**Text and context**) الذي أخرجه في عام (1977م)، وكتاب آخر صدر له في عام (1980م)، ترجم إلى العربية تحت عنوان "علم النّص مدخل متداخل الاختصاصات". **وبيتوفي (Petofi) وفينريش (Weinrich) وهارفج (Harvege) وهاريتمان (Hortmann)**، وكل من **دي بوجراند (R.De Beaugrander) ودريسلر (W.Dressler)** في مؤلف مشترك ترجم إلى العربية، ذي العنوان "مدخل إلى لسانيات النّص". وكتاب دي بوجراند "النّص والخطاب والإجراء". وكتابات جون مشال آدم **(J.M.Adam)** التي تعد الأحدث في مجال لسانيات النّص. وهذه الأسماء نسوقها على سبيل التمثيل لا الحصر؛ لأن ثمة باحثون آخرون كثر ينشطون في هذا المجال في الغرب.

3. محطات من نحو الجملة إلى نحو النّص إلى لسانيات النّص

يقول **جلال مصطفاوي**: إن نحو الجملة "مع الاعتراف بقيمته المعرفية الكبيرة قد عجز عن رسم معالم الطريق العلمي المنهجي لفهم اللغة بأشكالها المتعددة والإبداعية، ومستويات استخدامها المتنوعة، ويعزى ذلك لوقوفه عند حدود الجملة التي كانت تمثل الوحدة الكبرى في الدراسة والتحليل، الأمر الذي جعل تجاوز مستوى الجملة في التحليل اللساني أمر لا مناص منه"[3]، وعليه تم التحول من البحث في مستوى الجملة إلى مستوى أكبر وأشمل هو النّص. ومسوغات هذا التحول كثيرة، لعل "أهمها أن لسانيات الجملة تدرس الجملة بمعزل عن مختلف السياقات التي أنتجتها (لغوية، مقامية، اجتماعية...) في حين أنه يجب الربط بين الجملة اللغوية وبقية الجمل السابقة واللاحقة التي تكون معها جسد النّص"[4]. ومن مسوغات هذا التحول أيضا هو أن الجملة قد قتلت بحثا وتمت دراستها من كل جوانبها، مما استدعى البحث عن وحدات أكبر لفتح آفاق جديدة، فتضافرت جهود عديدة من قبل المشتغلين في الميدان وأدى تراكمها في سنوات السبعينيات من القرن الماضي وما بعدها، إلى ظهور لسانيات النّص في ساحة الدراسات اللسانية أروبية وأمريكية.

ما ينبغي الإشارة إليه هاهنا، هو أنه لا يصوغ أن تنفصم العلاقة بين لسانيات الجملة- نحو الجملة- ولسانيات النّص، كما لا يصوغ أن يتداخل العلمان؛ بمعنى أن يشتمل أحدهما على الآخر، نحن ننطلق أكثر من ذلك من كون العلاقة تكاملية بين لسانيات الجملة ولسانيات النّص، حيث ينظر إلى الأولى على أنها تمهيد ضروري للثانية[5]، فالمعرفة الجديدة هي نقد للمعرفة القديمة في بعض جوانبها، ولكن لا تلغيها أو تقصيها، بل تقوّم جوانب الضعف فيها.

في السياق ذاته؛ أي عن العلاقة بين المعرفة القديمة والجديدة، يشير جلال مصطفاوي إلى أنه "لا يمكن بأي حال من الأحوال أن ندّعي وجود قطيعة تامة بين لسانيات النّص ولسانيات الجملة، فالأنموذج الجديد (لسانيات النّص) في مقاربة الظاهرة اللغوية لم ينطلق من فراغ، بل تأسّس على خلفية القراءة النقدية البناءة لما يعرف بلسانيات الجملة...يمكننا أن نقول بأن العلاقة بينهما شبه قطيعة، لأن لسانيات الجملة كانت هي الأرضية التي بني عليها صرح لسانيات النّص (=امتداد) وهذا لا يعني في نفس الوقت أن الانتقال من لسانيات الجملة إلى لسانيات النّص كان انتقالا كميّا فقط. بل هناك اختلاف بينهما فرضه تحول الموضوع والمنهج والغاية (=قطيعة)"[6]. ولا يسعنا في هذا المقام الحديث عن معطيات العلم الأربعة: التاريخ، الموضوع، المنهج، والغاية – وهي معطيات لا بد لها أن تتوافر في أي علم – فهذا يبعدنا بعض الشيء عن موضوع بحثنا الأساس، ولكن حسبنا أن نشير إلى أهم محطات لسانيات النّص في خلال رحلتها من النشأة إلى طور التكوين ثم النضج.

إن أولى مراحل نشأة لسانيات النّص، تعرف بنحو النّص **(Text grammar)**، ويدخل ضمن هذا الأخير كل البحوث التي تناولت النّص من منظور بنيوي أو من منظور تحويلي توليدي، والنّص في ظل هذه الرؤى لا يعدو أن يكون جملة أكبر، وبالتالي يتم دراسته ووصفه على النهج نفسه الذي يتم به دراسة الجملة، إلا أن "تطبيق منطق الجملة على النّص ومحاولة إيجاد نظام نصي على غرار النظام النحوي للجملة مثّل محاولة باءت بالفشل على حد تعبير الكثير ممن انشغل بهذا المنهج وتبين أن ظاهرة النّص تختلف اختلافا جوهريا عن ظاهرة الجملة وتحتاج إلى مقاربات ووسائل بحث خاصة بها"[7]. ومن ثمة قامت لسانيات النّص كمرحلة تالية لنحو النّص، إلا أن هذا الأخير يعد مرحلة وسيطة وضرورية وخطوة هامة وحلقة وصل تم عبرها الانتقال من الجملة إلى ما بعد الجملة.

إذن، قامت لسانيات النّص لتنحو اتجاها مغايرا في دراسة الظاهرة النّصية، ينكر هذا الاتجاه أن يكون النّص مجرد سلسلة من الجمل، ويرفض النظر إلى النّص على أنه وحدة نحوية تنتظم عناصرها في نسق معين، لا يشذ عنها باقي النّصوص على اختلافها وتنوعها؛ وإنما النّص وحدة قوامها الاتساق **(Cohesion)** والانسجام **(Coherence)**[8]، بالإضافة إلى معايير أخرى حددها الباحثون في لسانيات النّص. ويصعب عموما تحديد معايير دقيقة ومتفق عليها في مقاربة النّص؛ ذلك أن لسانيات النّص موضوعها الأساس هو النّص، وهذا الأخير تتعدد تعريفاته بتعدد زوايا النظر إليه، هذا من جهة، ومن جهة أخرى طبيعة لسانيات النّص، فهي علم متداخل الاختصاصات ويتقاطع في عديد المفاهيم مع نظريات لسانية مثل البنيوية، والتحويلية التوليدية وكذا التداولية، ويحاقل علوم أخرى متاخمة للسانيات مثل: علم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من العلوم الإنسانية. ولعل هذا ما يجعل لسانيات النّص حقلا واسعا يأبى الاستقرار أو الوقوف عند حد، فانفتاحه – مع ما فيه من ايجابيات – على علوم عدة وتداخله معها جعله علما غير واضح المعالم ولا الحدود فكان محل انتقاد من طرف عدد غير قليل من اللسانين الغرب أنفسهم.

عموما تقوم لسانيات النّص بدراسة النّص من خلال تقطيعه إلى "مقاطع وكيفية ربطها وتحديد جنس النّص ومستواه اللّساني المعجمي وعلاقاته التفاعلية. ويتميز كلّ خطاب بمقوّمات نصية، وأخرى خطابية، تنحصر الأولى في العناصر اللّسانية المكوّنة لجنس النّص من معجم وتركيب وطرق انتظام وعلاقات ربط وتنحصر الثانية في العناصر الماوراء خطابية مثل المقوّمات الاجتماعية والنفسية والسياقية وبصفة عامة العناصر البراغماتية المقيّدة لإنتاج الخطاب والمكونة لعالمه المعرفي"[9]. كان هذا باختصار حول تأسيس لسانيات النّص في الغرب ومفهومها ووقفة عند أهم محطاتها التي لا يسعنا تفصيل القول فيها، حتى يتسنى لنا الانتقال إلى الحديث عن انتقال هذا العلم من محيطه اللساني الغربي إلى نظيره العربي.

4. التلقّي العربي للسانيات النّص وإشكالاته:

تعرفت ثقافتنا العربية على البحث اللساني النّصي منذ مدة لا تقل عن الثلاثة عقود. ومحمد خطابي أول من أخرج مؤلفا في هذا الحقل اللساني الجديد، من خلال كتابه "لسانيات النّص مدخل إلى انسجام الخطاب" في طبعته الأولى عام (1991م)، بينما يذهب بعض الباحثين إلى أبعد من هذا، ليقولوا بأن أول اتصال لثقافتنا العربية بلسانيات النّص الغربية كان في ثمانينيات القرن الماضي، مع أعلام مثل: سعيد يقطين في كتابه "انفتاح النّص الروائي" سنة (1989م)، ومحمد مفتاح من خلال مؤلفه "دينامية النّص تنظير وانجاز" عام (1990م). إلا أن هذه الكتابات لم تتعرض إلى لسانيات النّص كعلم قائم بذاته، وإنما طرقت باب البحث في بعض مفاهيم النّص، ولكن في الغالب من منظور أدبي وليس لساني محض. عموما توالت الدراسات النّصية بعد ذلك مع أعلام عرب، أمثال: الأزهر الزناد وجميل عبد المجيد وصلاح فضل وسعيد حسن بحيرى وإبراهيم خليل وصبحي إبراهيم الفقي ومحمد الشاوش وأحمد عفيفي وآخرون كثر. وهي أسماء ثقيلة، معها تشكلت أولى معالم الدرس اللساني النّصي العربي الحديث، ومثّلت فترة التسعينيات من القرن الماضي أولى مراحل التلقّي العربي لهذا الوافد اللساني الجديد، ثم شاعت بعد ذلك لسانيات النّص في أوساط الباحثين من الأكاديميين العرب.

تنتقل النظريات اللسانية تباعا من الثقافة الغربية إلى نظريتها العربية، هذا تقليد سائد منذ عهد البنيوية ولا تشذّ عن هذا الناموس لسانيات النّص، ولكنها – النظريات اللسانية – "لا تخضع لشروط الانتقال بمفهومه العلمي، بل عادة ما تأتي الانتقالات فجائية وعشوائية...لا تخضع لشروط محددة ومضبوطة، ولا تستجيب لها. اللهم إلا تكرار النماذج الغربية في تطوراتها المتلاحقة... نقول بكثير من الاطمئنان أن استقبال النظريات عندنا يخضع لسلطة النماذج الغربية وهذا ما يجعله أقرب إلى

التحولات المعروفة في مجالات الموضة، منه إلى التحولات في مجال العلم"[10]. وينسحب هذا القول بالضرورة على انتقال لسانيات النّص من محيطها الثقافي الغربي إلى نظيره العربي، ونهتم في هذه الورقة البحثية بالحديث عن استقبال لسانيات النّص في الثقافة العربية، فنرصد حركة انتقالها وطبيعة تلقّي هذه المعرفة اللسانية وخصوصياتها، مع تقويم الحصيلة في عمومها بالتركيز على مظاهر الاختلال فيها.

ثمة بحوث رائدة وجهود طيبة ومشكورة اضطلعت بمهمة التأسيس لنظرية لسانية نصية عربية حديثة، ولكن مع ذلك تظل الحصيلة في عمومها ضئيلة ومتذبذبة لا ترقى إلى مستوى البحث اللساني العالمي لأن "الجانب العربي يتخذ موقفا اتّباعيا يكاد ينحصر في استثمار المعطيات النظرية المتاحة في قراءة جديدة لظواهر في العربية! وهذا أمر طبيعي ولكنه يقصِّر بالبحث اللساني العربي عن أن يكون رافدا أو منافسا في حلبة الدرس اللساني العام...وإذن يزاوج بين (المادة) وهي العربية و(المنهج) وهو غربي. وليس واضحا أن جدل المادة والمنهج قد أفضى إلى إضافة عربية إلى النظرية اللسانية العامة"[11]. هذا حكم عام وينسحب أيضا على الدرس اللساني النّصي العربي، على اعتبار أن هذا الأخير انبثق من بيئة غربية لها خصوصيتها اللغوية، ثم اجتثت مفاهيمه النظرية ونقلت إلى الثقافة العربية بغير أهدافها الأصلية، ليتم بعد ذلك إسقاطها وتطبيقها على نصوص عربية وغالبا ما تكون نصوص التطبيق من القران الكريم أو الشعر العربي قديمه وحديثه.

يكاد يجمع المشتغلون في الميدان على أن لسانيات النّص في الثقافة العربية "تعاني قدرا من الاضطراب كونها لسانيات نقل من الآخر بامتياز، أكثر منها خلق وابتكار؛ فهي تنطلق لإحداث علاقة ترابط بين قضايا العربية في موروثها العربي البلاغي/ النحوي، مع ما أفرزته الحداثة اللسانية"[12]. هنا تبرز مشكلة أخرى تتعلق بالصراع الذي تلخصه ثنائية (تراث/حداثة)؛ أي التراث اللغوي العربي من جهة ولسانيات النّص الحديثة من جهة أخرى، فقد "ينجم عن الخلط المفاهيمي بين بعض المفاهيم التراثية والمفاهيم اللسانية علاقات وهمية تبعد المفهوم عن المقصود وتحرفه عن مواضعه، فكل مقاربة من هذا القبيل تتم في إغفال شبه تام للخصوصية الإبستيمولوجية للمفاهيم والأبعاد الخاصة، ومن ذلك ما نلاحظه من خلط واضطراب بين النحو واللسانيات"[13]. بينما يمكن أن تسهم لسانيات النّص في تطوير مسائل النحو العربي وكذا مسائل لغوية موجودة في مظان تراثنا دون تعارض، ويتوقف هذا إلى حد بعيد على وعي الباحث بطبيعة العلم وموضوعه وحدوده ومنهجه وأهدافه مع الوعي بخصوصية التراث اللغوي العربي.

تقف الجهود اللسانية العربية في هذا المجال عاجزة عن "وضع رؤية عربية تنطلق من ضبط مناهج النّص العربي، تراعي خصوصياته الإبداعية والثقافية. ولذلك بقيت المنطلقات لسانية تحليلية وفي غالب الأحيان إسقاطية لا تستجيب إلى روح النّص العربي رغم ما قدّمته النظريات الغربية من حلول وطرق في التحليل، طورت اللّسانيات النّصية العربية، ولكنها لم توفر شروط قيام نظرية لسانية نصية عربية ترتكز على النّصوص العربية، بدل إخضاعها إلى تقنيات نصية ولدت في بيئة مغايرة لبيئتها قد تؤدي دور المساعد، ولكنها لا تحلّ مكانها"[14]. فمن المهم استيراد نظريات لسانية نصية من الغرب، إن كان عن طرق الترجمة أو المحاكاة في التأليف، ولكن الأهم من هذا أن يكون شغفنا بلسانيات النّص، أو بعبارة أخرى لسانيات النّص العربية، ولا بد أن يكون موقفنا ايجابيا من هذه المعرفة اللسانية، من خلال استثمارها بتطبيقها على لغتنا العربية وتقديم إضافة لها، حتى يتسنى لنا أن نؤسس لنظرية لسانيات نصية فاعلة في محيطها العربي والعالمي على حد سواء.

يقول **عبد الرحمن بودرع** في ذات السياق أنّ: "صلة علم لغة النّص بالدراسات اللسانية الحديثة لا يعني أنه ولد في كنفها حصرا؛ فهو – أولا وقبل كل شيء – علم الطبع والتذوق للعربية، ولهذا فلا يُقتصر على علم لغة النّص في نسخته الأعجمية من أجل تحليل النّص العربي البليغ، لأنه لا يقود بالضرورة إلى فهم أسرار النّص إلا على وجه الاستئناس المنهجي دون العلم بكنه النّص في أصله العربي المبين...فعلم النحو في مقاصده تحليل للنص في مرحلة أولى من مراحله لا تستقل بنفسها؛ وهو في هذه المرحلة نظر في العلاقات والروابط بين الكلمات، للوقوف على بنية الكلام ونظمه"[15]وفي تراثنا اللغوي العربي بشتى فروعه، كثيرة هي الأمثلة – على غرار النحو– التي تنبئ عن وجود إرهاصات هامة للسانيات النّص، لا سيما ما تعلق منها البلاغة وتفسير نصوص الذكر الحكيم، وإنما يحتاج هذا التراث إلى أن يكون في موضع المساءلة الجادة والنبش أكثر في خباياه، في سبيل الكشف عن مباحث نصية وهذا من شأنه أن يعطي دفعا قويا لتأسيس نظرية لسانية نصية عربية لها حدودها وشخصيتها.

وعن حصيلة البحث اللساني النّصي العربي الحديث في عمومه يذكر خالد حميد صبري بأنه "مازال يعاني ضآلة في الإنتاج، ونقص في بعض الجوانب. فأما ضآلة الإنتاج فناتجة عن قلة الاهتمام بلسانيات النّص من قبل كثير من اللسانيين العرب. إن قلة الاهتمام هذه لا تؤشر فقط موقفا عربيا من هذا الحقل المعرفي تحديدا، بل إنها مشكلة تضاف إلى قائمة المشكلات التي يعانيها الدرس اللساني العربي؛ لأن لسانيات النّص إحدى صور التطور التي حققتها اللسانيات العالمية، فكيف لثقافة لسانية ناشئة كالثقافة اللسانية العربية أن تتجاهل هذا التطور"[16]، وضآلة الإنتاج اللساني النّصي في جانب منه في بيئتنا العربية راجع أيضا إلى كون البحوث اللسانية في عمومها لا تخرج عن نطاق البحوث الجامعية، بدليل أن عديد المؤلفات اللسانية النّصية مثلا هي في الأصل عبارة عن أطاريح دكتوراه نشرها أصحابها في شكل كتب.

كما نجد أن المؤلِف الواحد قد يخرج كتابا في لسانيات النّص ثم لا يستمر في التأليف في التخصص نفسه، وعدم الاستمرارية – أو السلالية – في التأليف والإنتاج واحدة من الإشكالات التي تُضعِف البحث عندنا. على عكس ما نجده في الغرب، فإذا ما ذكرت لسانيات النّص عندهم فإن هذا يقترن باستحضار أسماء عديدة تتبادر إلى الأذهان، وأعلام اشتهروا بالتأليف في هذا الحقل اللساني تحديدا، مثلا جون ميشال آدم؛ لأن هذا الأخير اشتغل على هذا العلم فجاء مشروعه اللساني النّصي سلالي، يتسم بالاستمرارية. بينما تغيب هذه السمة في بحوثنا، اللهم إلا في بعض المحاولات الجادة، مثل ما فعل سعيد حسن بحيرى، الذي اتخذ لسانيات النّص مشروعا في التأليف والترجمة هذا من جهة، ومن جهة أخرى تغيب لدينا ثقافة المجموعة في البحث العلمي عموما والنّصي على وجه الخصوص، إذ لا نجد فريق بحث أو مؤسسة أو جهة أكاديمية تعنى بالبحث اللساني النّصي ومتابعة ما يتم إنتاجه وتقويمه وتقديمه للقارئ العربي.

يتبدى واضحا أن هذا النتاج اللساني النّصي العربي يسير غلبا في اتجاه واحد، فالتأليف في الجانب النظري يكثر، ولا نعني هاهنا غياب البحوث التطبيقية التي تعنى بتطبيق آليات لسانيات النّص، مثل الاتساق والانسجام على المتون العربية، مثل نصوص القران الكريم والشعر قديمه وحديثه، فهذا موجود وبكثرة، ولكننا نعني بالجانب التطبيقي من هذا العلم هو عندما تحاقل لسانيات النّص حقول معرفية أخرى، فهذا النوع من البحوث التكاملية التطبيقية يكاد يغيب لدينا، ولعل هذا راجع إلى أن لسانيات النّص في ثقافتنا العربية هي لسانيات نقل عن الآخر بامتياز – كما سبق الإشارة إليه – و"اللسانيات في بيئتها الغربية قول وعمل ...أما المنقول من اللسانيات إلى الوطن العربي فمحصور في قسمها النظري، بينما قسمها العملي ترك هناك ...والعلم بدون عمل عمره قصير"[17] ، فلسانيات النّص هي من العلوم التي تتأتى نتائجها الفعلية التطبيقية عندما تلامس

حقول معرفية أخرى متاخمة للسانيات، مثل الترجمة والحوسبة وتعليمية اللغة، وبات من الضروري تكامل العلوم وتحاقلها وقد أضحت البينية واحدة من سمة العلوم الحديثة ولكنها ميزة تكاد تكون غائبة في بحوثنا العلمية العربية.

سيلاحظ من اطلع على الأدبيات اللسانية النّصية العربية الحديثة، دون أدنى شك أن ثمة تغييب لنمط من الكتابات ذات التوجه اللساني النقدي أو ما يعرف بالمراجعات اللسانية، وغني عن البيان أن النقد أداة ووسيلة لتقييم وتقويم العلوم، فالنقد اللساني النّصي من شأنه أن يُحسِّن من نوعية البحث النّصي العربي، من خلال رصد وتصنيف ما تم إنتاجه في الساحة العربية، ومن ثمة تقييم هذا المنجز بغية الكشف عن مظاهر الجدة فيه والعمل على تقويتها، ومكامن النقص للعمل على تجاوزها، واقتراح حلول ناجعة لسد ثغرات البحث. كما يمكِّن هذا من إطلاع القارئ العربي على ما تم نشره من دراسات في لسانيات النّص العربية والتعريف بها من أجل الاستفادة منها. ومع ذلك لا نعدم وجود بعض المحاولات الجادة والجديرة بالاهتمام والتنويه.

من العوائق الأخرى التي تقف حاجزا في طريق تطور الدرس اللساني النّصي العربي، نذكر إشكالية الترجمة وما تعانيه من اضطراب وضعف هي الأخرى، ونقف هنا عند بعض النماذج – دون الدخول في تفاصيل الحديث- فمن حيث الكم الحصيلة الترجمية لا زالت قليلة جدا، عدا محاولات سعيد حسن بحيرى، الذي ينشط في هذا المجال وقد ترجم عددا من الكتب لا بأس به عن اللغتين الألمانية والإنجليزية. وما تزال مكتبتنا العربية تفتقر إلى مراجع لسانية نصية أساسية، نذكر منها كتاب **(Cohesion in English)** لهالداي وحسن، الذي تم تأليفه عام (1976م)، فعلى الرغم من أهمية هذا المرجع، إلا أنه أُهمل من قبل المترجمين العرب المشتغلين في الميدان، اللهم إلا في محاولة شريفة بلحوت التي قامت بترجمة الفصلين الأول والثاني منه، ضمن رسالتها في الماجستير بجامعة الجزائر في عام (2005/ 2006)*. ونجد في الوقت ذاته بعض الكتب التي تكررت ترجمتها – تضييع للجهد- مثل الكتاب المشترك الذي ألفه كل من: فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر، فقد ترجم مرتين إلى اللغة العربية، مرة تحت عنوان "مدخل إلى علم اللغة النّصي" في ترجمة فالح بن شبيب العجمي ومرة أخرى بعنوان "مدخل إلى علم لغة النّص" في ترجمة سعيد حسن بحيرى، وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على عدم تنسيق الجهود العربية وتوحيدها في مجال البحوث النّصية.

عطفا على ما سبق بيانه نسجل غياب شبه تام لمعاجم عربية في لسانيات النّص، عدا محاولة نعمان بوقرة في مؤلفه الموسوم: "المصطلحات الأساسية في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية" في طبعته الأولى عام (2009م). وهي في الحقيقة محاولة لا ترقى إلى مستوى المعجم بالمقاييس اللسانية العالمية، على غرار ما فعل باتريك شارودو ودومنيك منغونو بالاشتراك مع نخبة من الباحثين في الغرب حيث أخرجوا معجم ضخم وموسوعي يختص بهذا المجال، تم ترجمته من اللغة الفرنسية إلى العربية في سنة (2008م) تحت عنوان "معجم تحليل الخطاب" من قبل عبد القادر المهيري وحمّادي صمّود. وهذا جهد طيب سدّ جانبا من النقص في مكتبتنا اللسانين النّصية. بينما يكتفي بعض المؤلفين العرب في حقل لسانيات النّص بعرض مسرد مصطلحي عربي في مقابل الأجنبي – انجليزي أو فرنسي غالبا- في الصفحات الأخيرة من مؤلفاتهم، فلا يؤدي هذا الغرض ولا يلبي الحاجة ولا يشفي غليل الباحث في لسانيات النّص.

وعندما نأتي على ذكر العقبات التي تقف في طريق لسانيات النّص في ثقافتنا العربية؛ فإن ثمة إشكالا يطرح نفسه بقوة ألا وهو إشكال المصطلح اللساني النّصي العربي، الذي بات قضية تؤرق الباحثين في هذا المجال لما يشوبه من اضطراب وتعدد وعدم استقرار. وأولى هذه المصطلحات، ما تعلق بتسمية العلم نفسه "لسانيات النّص" واثنين من أهم مباحثه، "الاتساق

والانسجام"، فقد تم تداولها من قبل الباحثين العرب بصيغ مصطلحية متعددة ومتنوعة ومتباينة إلى حد بعيد، ما أدى إلى حدوث اضطراب في أذهان الباحثين وهذا يشكل عقبة في طريق نمو النظرية –لأن من شروط قيام أي نظرية ضبط مصطلحاتها وجهازها المفاهيمي– يظهر هذا من خلال قراءة سريعة لعناوين كتب لسانيات النّص التي جاءت بتسميات مختلفة باختلاف توجهات أصحابها، فالتشتت المصطلحي أضحى سمة تلازم البحث اللساني العربي في عمومه والنّصي على وجه الخصوص.

5. خاتمة:

تخلل الطرح الذي تقدم مجموعة من الآراء النقدية لبعض المشتغلين في الميدان، في سبيل تقويم حصيلة –حصاد الثلاثين– لسانيات النّص في ثقافتنا العربية وتشخيص وضعها الراهن، وتكاد تجمع مجمل الآراء على أن لسانيات النّص ليست في مستوى تطلعاتهم ولم تحقق ما كان معقودا عليها من آمال، فهي تعاني الاختلال والاضطراب وتضطلع بمشاكل عديدة وعقبات في الطريق تحول دون بلوغ الغاية والتأسيس لنظرية لسانية نصية عربية بمقاييس عالمية. أما عن سفر النظرية من نسقها اللساني الغربي إلى نظيره العربي فإنه انتقال لم يخضع لشروط انتقال العلم بطريقة محددة ومضبوطة.

فما تزال لسانيات النّص عندنا في مرحلة متواضعة وتسير في طريق التكوين النسبي، ولكنها لم تبلغ بعد الشأن ذاته الذي بلغته في الثقافة اللسانية الغربية — أوروبية وأمريكية– وهذا حكم عام، لا نعدم معه وجود كتابات وتجارب لسانية نصية عربية جادة ومهمة وجديرة بالتنويه ولكنها قليلة. وقلة التجارب اللسانية العربية في هذا المجال تعزى غالبا إلى قلة الاهتمام بهذا الفرع اللساني في ثقافتنا، قياسا بباقي فروع النظرية اللسانية العامة. ولا ندري حقيقة ما السبب وراء هذا العزوف، هل هو عدم إدراك لقيمة هذا العلم وفوائده التطبيقية من قبل بعض اللسانيين العرب؟ أم أن ثلاثة عقود غير كافية بعد حتى ترسخ هذه النظرية في ثقافتنا اللسانية؟

يبدو أن ثمة أزمة تلوح في أفق الدرس اللساني النّصي العربي؛ بفعل معيقات عديدة، تحول دون قيام النظرية والتأسيس لها في ثقافتنا العربية، وهذه المعيقات منها ما يتعلق بطبيعة العلم نفسه ومنها ما يتعلق بطبيعة التلقّي العربي وملابساته، فأما الأولى فتكمن في كون لسانيات النّص، حقل معرفي شاسع، تتعدد مباحثه بتعدد نظرياته، وكذا مناهجه البحثية وإجراءاته التطبيقية، وتداخله في كثير من الأحايين مع علوم أخرى لسانية وغير لسانية؛ وهذا أدى إلى اضطراب النظرية اللسانية النّصية وغموضها في بعض جوانبها، مما يستدعي من الباحث في هذا الحقل اللساني بأن يتبنى اتجاها بعينه يعتمده في قراءة النّصوص وتحليلها. وأما الثانية — طبيعة التلقّي العربي– فتتصل بالجو الثقافي العام السائد في بيئتنا اللسانية العربية، ويضطلع هذا التلقّي بإشكالات وعوائق عديدة.

لا ندّعي هاهنا أننا امتلكنا فصل القول؛ وإنما هذه محاولة جاءت لتسلط الضّوء على واقع التلقّي العربي للسانيات النّص، وما يضطلع به من مشاكل ومعيقات. وليس في هذا انتقاص من قيمة بحوث وجهود الناشطين العرب في هذا المجال؛ وإنما حاولنا رصد حصيلة هذا النتاج اللساني النّصي العربي بغية تقويمه، ومع ذلك تظل ثمة إمكانية لتأسيس نظرية لسانية نصية عربية وليس هذا مستحيلا في ظل ثقافة المجموعة. وإذا ما تكاتفت الجهود أمكن النهوض والارتقاء بالبحث اللساني النّصي العربي إلى مصاف البحوث اللسانية العالمية، وهو عمل نوصي بأن يضطلع به جيل من الباحثين اللسانيين الشباب، فعلى عاتقهم تقع مهمة رفع التحدي، تحدي التأسيس لنظرية لسانية نصية عربية خالصة.

6. قائمة المراجع:

أ/الكتب:

- **العربيّة:**

1. جلال مصطفاوي، الترابط النّصي في سورة الكهف مقاربات لسانية نصية، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، دط، 2018.
2. حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، دار ورد، الأردن، ط1، 2013.
3. حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009.
4. حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط 1، 2009.
5. حمّادي صمّود، مقالات في تحليل الخطاب، (بحث ضمن الكتاب ل كورنيليا فون راد صكوحي، لسانيات النّص أو لسانيات ما بعد الجملة وما قبل الخطاب)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، وحدة البحث في تحليل الخطاب، دط، 2008.
6. خالد حميد صبري، اللسانيات النّصية في الدراسات العربية الحديثة، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط 1، 2015.
7. خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2013.
9. مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013.
10. مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القران الكريم، دار نور حوران، دمشق، سورية، دار العرّاب، دمشق، سورية، ط1. 2018

- **المترجمة:**

11. فولف جانغج هاينه من وديتر فيهفجر، مدخل إلى علم اللغة النّصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت.

ب/المقالات:

12. حافظ إسماعيلي علوي، عندما تسافر النظرية، لسانيات النّص نموذجا، جسور، ع يناير 2012.
13. نعيمة سعدية، تلقّي لسانيات النّص في الدرس اللساني العربي المعاصر المصطلح والاتجاهات، مجلة كلية الآداب واللغات، بسكرة، ع 19، جوان 2016.

ج/ المداخلات:

14. عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النّصي للقران الكريم، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، 2013.

7. قائمة الإحالات:

1 – مفتاح بن عروس، الاتساق والانسجام في القران الكريم، دار نور حوران، دمشق، سورية، دار العرّاب، دمشق، سورية، ط1، 2018، ص 9.
2 – ينظر، مصطفى غلفان، اللسانيات البنيوية منهجيات واتجاهات، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2013، ص 427.
3 – جلال مصطفاوي، الترابط النّصي في سورة الكهف مقاربات لسانية نصية، النشر الجامعي الجديد، تلمسان، الجزائر، دط، 2018، ص 79.
4 – المرجع نفسه، ص 83.
5 – ينظر، فولف جانغج هاينه من وديتر فيهفجر،مدخل إلى علم اللغة النّصي، تر: فالح بن شبيب العجمي، النشر العلمي والمطابع، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية، د ط، د ت، ص 8.

6 – مصطفاوي جلال، الترابط النّصي في سورة الكهف مقاربات لسانية نصية، ص 96.

7 – حمّادي صمّود، مقالات في تحليل الخطاب، (بحث ضمن الكتاب ل كورنيليا فون راد صكوحي، لسانيات النّص أو لسانيات ما بعد الجملة وما قبل الخطاب)، كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، وحدة البحث في تحليل الخطاب، دط، 2008، ص57–58.

8 – ينظر، حاتم عبيد، في تحليل الخطاب، دار ورد، الأردن، ط1، 2013، ص17.

9 – ينظر، خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط1، 2013، ص 182.

10 – حافظ اسماعيلي علوي، عندما تسافر النظرية، لسانيات النّص نموذجا، جسور، ع يناير 2012، ص17.

11 – حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان، ط1، 2009، ص 269.

12 – نعيمة سعدية، تلقّي لسانيات النّص في الدرس اللساني العربي المعاصر المصطلح والاتجاهات، مجلة كلية الآداب واللغات، بسكرة، ع 19، جوان 2016، ص 146.

13 – حافظ إسماعيلي علوي، اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2009، ص 93.

14 – خليفة الميساوي، المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم، ص 199.

15 – عبد الرحمن بودرع، في لسانيات النّص وتحليل الخطاب، نحو قراءة لسانية في البناء النّصي للقران الكريم، المؤتمر الدولي لتطوير الدراسات القرآنية، 2013، ص 12.

16 – خالد حميد صبري، اللسانيات النّصية في الدراسات العربية الحديثة، دار الأمان، الرباط، منشورات الاختلاف، الجزائر، منشورات ضفاف، ط 1، 2015، ص 83.

17 – حافظ إسماعيلي علوي ووليد أحمد العناتي، أسئلة اللغة أسئلة اللسانيات، حصيلة نصف قرن من اللسانيات في الثقافة العربية، ص 181.

* عنوان رسالة الماجستير: الإحالة، دراسة نظرية مع ترجمة الفصلين الأول والثاني من كتاب: Cohesion in English ل م أ.ك هالداي ورقية حسن، جامعة الجزائر، 2006/2005.